أ. نبيلة قدور

/ مادة لسانيات عامة
/ محاضرة- السنة ثانية ليسانس
/دراسات لغوية
مج 04:

مفهومها/ مادتها/ مجالاتها:

أول محاولة في دراسة اللغة ترجع إلى **دانتي** حيث وصف اللغة الإيطالية في كتاب عنوانه «لغة الشعب» تحدث فيه عن أصل اللغة الإيطالية و علاقتها بالبرونفسية و بعد توسع الاكتشافات الجغرافية اكتشفت لغات كثيرة لم تكن معروفة من قبل، و دعت الضرورة إلى دراستها فاعتمدوا على منهج دانتي، في الوقت الذي أعلن فيه السير **(وليام جونز)** عن العلاقة بين السنسكرتية و الفارسية القديمة و اللاتينية و اليونانية و الجرمانية و الكلتية فكانت دراسته بمثابة تمهيد لظهور ما يعرف باسم المنهج المقارن، و من روّاده[1]:

* **شليجل** (Shleget): أصدر كتابا سنة 1808 عن اللغة و المعرفة عند الهنود دعا فيه إلى النحو المقارن.
* **فرانزبوب** (Franzbob): أصدر عام 1816 كتاب نظام التصريف في اللغة السنسكرتية معلنا ميلاد فقه اللغة المقارن؛ قارن فيه السنسكريتية باليونانية و اللاتينية و الفارسية الجرمانية، و في عام 1823 أصدر كتابا آخر بعنوان «النحو المقارن».
* **أوجست شليشر** (Augest Schleicher): أصدر في عام 1861 كتابا (تركيب النحو المقارن في اللغات الهندوجرمانية).
* **راسك:**(Rask) أصدر في عام 1818 كتابا عن اللغة الاكسلندية، حاول فيه التوصل إلى الأصول الأول للغة الإسلندية القديمة عن طريق المقارنة بعدد كبير من اللغات الهندوأوربية.
* **جريم:**(Grim) في عام 1819 أصدر الجزء الأول مت كتابه النحو الألماني و قسمه إلى حقب تاريخية، و بعد ضمن النحو التاريخي.
* و في عام 1922 عدل هذا الجزء و أضاف إليه كغير الأصوات في اللغات التي قارن بينها، و استنتج بهذا التغير قوانين ثابتة، سميت فيما بعد باسم "قوانين جريم".
* و في عام 1870 ظهرت مجموعة النحاة الجدد (Neogrammarians) تضم: كارل فيرز، هيرمان بول، بروجمان و اعتبرت السنسكريتية أساس البحث اللغوي و يؤكد (ماكس مولر) أن السنسكريتية هي الأساس الوحيد لفقه اللغة المقارن.
* و يحاول المنهج المقارن أن يثبت أن اللغات تتغير و أن اللغات المختلفة قد تتشابه في ناحية أو ناحيتين يهتم هذا المنهج بوضع الصيغ الصرفية و التراكيب النحوية للغات مختلفة جنبا إلى جنب ليقارن بينهما و من المقارنة يمكن استنتاج شيئين:

1- درجة الصلة بين عدة لغات وضعت تحت الفحص.
2- الشكل الذي يبدو أقرب إلى اللغة الأم التي تعد الأصل المشترك لهذه اللغات، و هذا ما يسمى بإعادة البناء الخارجي.

و عندما يقرر الباحث انتماء لغات متعدد إلى أصل مشترك فإنه يجب أن يتأكد أولا أن تلك اللغات تشترك جميعا في ثلاثة أشياء هي:

أ- التراكيب النحوية الأساسية.
ب- المفردات.
ج- الأصوات و الفونيمات

[1] صلاح حسنين: دراسات في علم اللغة الوصفي و التاريخي و المقارن، ط2، القاهرة، مكتبة الآداب، 2011/2010، ص 53.

اللغويات الوصفية:

اهتم النحاة الجدد بالمنهج التاريخي و المقارن و لكن في مرحلتهم الأخيرة اهتموا بعلم الصوتيات الوصفي و طبقوه على اللغات الحية.

و قد كان **فرديناد ديسوسير** أول من ابتعد عن اللسانيات التاريخية و دعا إلى دراسة الكلام المنطوق دراسة وصفية.

و يقوم منهجه على دراسة الثنائيات كما أكد على دراسة الكلام المنطوق عوض النصوص المكتوبة، و على تحليل النظام الباطن للغة بدلا من المقارنات المعجمية و النحوية، و على وضع اللغة في وسطها الاجتماعي بدلا من النظر إليها بوصفها جملة من السمات الفيزيائية.

أهم المسائل النظرية التي تطرق إليها:

1- **موضوع اللسانيات:** فرع من السيماء sémiology أي علم العلامات العام الذي يدرس الأنظمة المختلفة للأعراف التي تمكن الأعمال البشرية من أن يكون لها معنى و يعتبر في عداد العلامات.

و بهذا يمكن أن تكون اللسانيات نموذجا حيا للسيمياء لأن طبيعة العلامات الاعتباطية و العرفية في اللغة واضحة للغاية و لا يعتريها أي غموض: «إن موضوع اللسانيات الصحيح و الوحيد هو اللغة في ذاتها و من أجل ذاتها»[1].

2- **مادة اللسانيات و مهمتها:**

قدم دي سوسير لمحة عن تاريخ اللسانيات في الفصل الأول من محاضراته "مبادئ في اللسانيات العامة"، و في الفصل الثاني تطرق إلى مادة اللسانيات و مهمتها و علاقتها بالعلوم الأخرى.

قال: «إن مادة اللسانيات تشمل كل مظاهر اللسان البشري سواء أتعلق الأمر بالشعوب البدائية أم الحضارية، أو بالعصور القديمة أو بعصور الانحطاط » (ص 6).

أما مهمة اللسانيات فقد لخصها في ثلاث نقاط هي:

أ- تقديم وصف لجميع اللغات و تاريخها، بالإضافة إلى سرد الأسر اللغوية و إعادة بناء اللغة الأم لكل منها كلما أمكن ذلك.

ب- تحديد القوى الكامنة المؤثرة بطريقة مستمرة و شاملة في كافة اللغات و استخلاص القوانين العامة التي تتحكم في كل الظواهر التاريخية الخاصة.

ج- تحديد نفسها و التعريف بنفسها كما أنه أكد على علاقة اللغة بالعلوم الأخرى كالانتوغرافيا(علم وصف الشعوب)، و ما قبل التاريخ و الانتروبولوجيا و الفيلولوجيا، و علم الاجتماع، و علم النفس الاجتماعي.

اللسانيات الوصفية: هي الدراسة العلمية للغة الإنسانية، تقوم على الوصف و معاينة الوقائع بعيدا عن النزعة العلمية و الأحكام المعيارية، فهو من أم العلوم الإنسانية التي تتخذ من لغة البشر موضوعا له يصفها و يحلل بنيتها.

3- اللسان و اللغة و الكلام: Le langage / la langue:

يدل اللسان على النظام العام للغة، و يضم كل ما يتعلق بكلام البشر، و هو بكل بساطة لسان أي قوم من الأقوام و يتكون من ظاهرتين مختلفتين: اللغة و الكلام و اللغة في نظر دي سوسير واقعة اجتماعية ليست مجردة بل متواجدة بالفعل في عقول الناس فهي بمثابة الذاكرة

---

[1] محاضرات في اللسانيات العامة، ص 232.

نقلا عن: أحمد مومن: اللسانيات النشأة و التطور.

الجماعية التي لا يطيق فرد واحد أن يختزنها بل هي موزعة في عقول كل أفراد الذين يتكلمون بلسان واحد، و يمكن صياغتها: 1+1+1+1+..... (نموذج جمعي).
أما الكلام: فإنه فعل كلامي ملموس، و نشاط شخصي مراقب، يمكن ملاحظته من خلال كلام الأفراد أو كتاباتهم، و هو مطابق لمفهوم الأداء (عند تشومسكي)تقريبا.

4- منهج دي سوسير في دراسة اللغة: (ثنائيات دي سوسير)

1. **السنكرونية مقابل الدياكرونية** أو التزمّنية(الآنية) و الزمانية Sunchrony/ Diachrony: تحليل اللغة سنكرونيا أي آنيا خلال فترة محددة من الزمن، و هذه الفترة لا تقتصر على الحاضر، و لكنها قد تكون على مسافة منا بقدر ما تسمح به الوثائق التي تحت أيدينا، مع الوضع بعين الاعتبار التغيرات التي تطرأ على اللغة عند الانتقال من فترة إلى فترة.

2. **اللغة و الكلام**: اللغة اجتماعية و الكلام فردي، اللغة ذات طابع تجريدي، في حين الكلام ملموس.

3. **الدال و المدلول:**(signifie/signifié) أو اللفظ و المعنى أو الصورة السمعية/الصوتية و الصورة الذهنية، العلاقة بينهما اعتباطية؛ يرى دي سوسير أن اللغة نظام من العلامات و أن العلامة علاقة بين شيئين المفهوم (الدال) و المدلول و تمتاز العلامة بالاعتباطية و يمكن أن تكون العلامة لغوية و غير لغوية.

تمتاز العلامة اللغوية في كونها عملة ذات وجهين و علاقة بين هذين الوجهين هي العلاقة الجامعة بين الصورة الصوتية و الصورة الذهنية (المفهوم) و الصلة بينهما تولد المعرفة، أما العلامة غير اللغوية فإنها تتعدى المنطوق إلى ما هو بصري كعلامات المرور ولغة الصم والبكم والشفرة السرية ودراسة الأزياء وطرائق الطبخ.

4. **العلامة اللغوية:** اللغة في نظر دي سوسير عبارة عن مستودع من العلامات و العلامة وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفراد مجتمع معين، و تضم جانبين أساسيين هما الدال و المدلول. الدال هو الصورة السمعية التي تدل على شيء ما أو تعني شيئا ما و المدلول هو التصور أو الشيء المعني.

و يرى دي سوسير «أن العلامة اللغوية لا تربط شيئا باسم بل تصوّرا بصورة سمعية، و هذه الأخيرة ليست الصوت المادي الذي هو شيء فيزيائي صرف، بل هي البصمة النفسية للصوت، و ذلك الانطباع الذي نشكله على حواسنا»[1].

و هكذا فإن فكرة العلامة عنده تختلف اختلافا جذريا عن المفهوم القديم الذي يتراوح بين الاسم و المسمى أو الكلمة و الشيء، و إنّ غرض اللسانيات هو دراسة هذه العلامة التي يمكن ملاحظتها كملاحظة الأشياء الأخرى، و التي يغلب عليها الطابع الاعتباطي، و تتصف بالتغير و الثبات في آن واحد.

5- الرأسية و الأفقية: (syntagmatic/ pragmatic)

تتقابل العلامة مع علامات أخرى تأتي قبلها أو بعدها في الجملة، و علاقتها مع العلامات السابقة أي التالية علاقة أفقية، و تتقابل العلامة مع علامات أخرى ليس لأنها في الرسالة و لكن لأنها تنتمي إلى اللغة.

6- ثبوت العلامة و تغيرها:

أ- الثبوت: أراد أن يؤكد دي سوسير رغم تناقض هذه الثنائية- أن اللغة تتغير على الرغم من عدم مقدرة الناطقين بها على تغييرها، و عادة ما تميل العلامات إلى الثبوت لأن ثمة قوى

[1] أحمد مومن، ص 127.

تعمل على منع التغير اللغوي، و تقاوم التبدل الاعتباطي، و من بين هذه القوى كما يقول (وترمان) «الثروة المفرداتية الكبيرة، و البنية اللغوية المعقدة، و الجمود الذي يميز اللغة بالإضافة إلى كون اللغة ملك للجميع، و أن جذورها ضاربة في أعماق التاريخ و نحن ورثناها عن الأجداد، و ما علينا إلا تقبّلها»[1].

فالقوى التاريخية هي التي تقاوم التغير اللغوي الاعتباطي، و خاصة المفاجئ و السريع.

ب- التغير: تتغير اللغة بصورة تدريجية عبر الزمن، و يمس هذا التغير خاصة أشكال المفردات و معانيها، و يقصد دي سوسير بالتغير: «التغيرات الصوتية التي تصيب الدال، أو تلك التغيرات في المعنى التي تصيب تصور المدلول ... و مهما تكن قوى التغير ... فإنها تؤدي دائما إلى تبدل العلاقة بين الدال و المدلول».

و يقول دي سوسير أن اللغة غير قادرة عن الدفاع عن نفسها ضد القوى التي تغير من حين لآخر العلاقة بين الدال و المدلول، و هي إحدى عواقب الطبيعة الاعتباطية للعلامة. أما عن سبب التغير فهناك عدة نظريات منها: نظرية البنية الداخلية الشهرة الاجتماعية، السيكولوجية، الذوق، اللغات المتنحية، الأسرة اللغوية، الأمواج ...

8- القيمة اللغوية:

إن اللغة في نظر دي سوسير لا يمكن أن تكون إلا نظاما من القيم المجردة، و تكمن قيمة الكلمة في خاصيتها التي تمكنها من تمثيل فكرة معينة، و قد جاء بهذا المفهوم (La valeur) من الاقتصاد؛ و القطعة النقدية لا يمكن معرفة قيمتها إلا بما يقابلها من خبز أو طعام ... أو عملة أخرى.

و بذلك يمكن تبديل كلمة بشيء مغاير كفكرة ما أو تشبهها بشيء من طبيعة واحدة ككلمة أخرى مثلا، إذن فقيمتها ليست ثابتة ما دامت يمكن تبديلها بتصور آخر.

و من بين الأمثلة التي أوردها لتوضيح مفهوم القيمة كلمة "mouton "بمعنى خروف، في الفرنسية الحديثة، تقابلها في الانجليزية Sheep، و لكن ليس لها القيمة نفسها، فكلمة mutton في الانجليزية هي قطعة لحم مهيأة للأكل على المائدة. إن الاختلافات في القيمة بين sheep و mutton يعود إلى أن الكلمة الأولى لها عبارة أخرى تقابلها، في حين تنعدم في الفرنسية، فصيغة الجمع في الفرنسية ليست لها القيمة نفسها في العربية؛ فالعينان و الأذنان و اليدان جمعا في الفرنسية بينما هو مثنى في العربية و السنسكريتية.

9-الشكل و المادة:

التمييز بين الشكل و المادة هو تمييز بين النظام الذي يستنبطه الباحث و بين المادة اللغوية الفعلية، النظام هو الإطار التجريدي و المادة هي الأحداث التي تجري في العالم الحقيقي.

10- السيمياء و المؤسسات الاجتماعية:

السيمياء "semiology" علم يدرس حياة كل العلامات المستخدمة في المجتمع كاللغة و العادات و الطقوس و يبين مكوناتها و قوانين تنظيمها، و مع هذا فإنه فرع من علم النفس الاجتماعي و من ثمة من علم النفس العام و اللسانيات عند دي سوسير جزء من السيمياء و

[1] أحمد مومن: ص 128.

من الممكن تطبيق القوانين التي تكتشفها السيمياء على اللسانيات، و بهذا يقيدها بمجموعة من القواعد الانتربولوجية.

قرون نيلة